

"شعرية الشعر" في كتابات عبد الرحمن بن محمد القعود / قراءة في المصطلح، المفهوم، التجليات
**The poetics of poetry" in the critical writings of Abd al-Rahman bin Muhammad
 al-Qa`ood a reading of terminology, concept and manifestations**

د/ عبد القادر قدار *

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة (الجزائر)، a.keddar@univ-dbk.m.dz

تاريخ الإرسال 2021/10/02 تاريخ القبول 2021/10/19 تاريخ النشر 2021/12/27

ملخص:

تتبعها هذه الدراسة الموسومة بـ: "شعرية الشعر" في كتابات عبد الرحمن بن محمد القعود النقدية / قراءة في المصطلح، المفهوم و التجليات) مسائلة – عن طريق التحليل والمناقشة- مقولة "شعرية الشعر"، هذه الظاهرة الإبداعية/ الشعرية والنقدية، كما يراها هذا الناقد في كتاباته النقدية، أي: انطلاقا من تصوراته حول تداول هذا المصطلح في النشاط النقدي، مفهومه، تعالقاته بالمصطلحات المجاورة له، إلى جانب تجليات شعرية النص الشعري، والتي حددها في ثلاثة ملامح: شعرية الإبداع ممثلة في آليات (الإيقاع، التشكيل اللغوي، التصور الفني، و معاناة الإبداع الشعري)، شعرية المضمون، وشعرية التلقي.
 الكلمات المفتاحية: الشعرية- التلقي- الإيقاع- التشكيل اللغوي- التصوير الفني.

Abstract:

This study, entitled "The poetics of poetry" in the critical writings of Abd al-Rahman bin Muhammad al-Qa`ood a reading of terminology, concept and manifestations aims to question the literary and critical phenomenon, that is known as "The poetics of poetry" as conceived by al-Qa`ood in his critical writings, i.e starting with his thoughts about the usage of his term in critical activity, its meaning, and its inter- connectedness with the adjacent terms; all this alongside the manifestation of the poetics text which have been categorised by him into three sections : The poetics of creativity (as represented by the mechanisms of rhythm , of linguistic formation, of artistic portrayal, and of the travail of poetic creativity) ; the poetics of content, and the poetics of reception.

Keywords: The poetics- reception- rhythm- linguistic formation- artistic portrayal.

1. مقدمة:

"الشعرية" أو " شعرية الشعر" من المصطلحات الأكثر رواجاً و تداولاً في الكتابات النقدية العربية المعاصرة، و الاهتمام النقدي بشعرية الشعر ظل متواصلاً في النقد العربي تواصل الشعر، تطوره، و تطور مناهجه و آلات البحث فيه ما أدى- حتماً- إلى تعدد الدراسات حول الشعرية... في الدراسات النقدية الخاصة بالشعر، فأغلب الآراء و أهم المحصلات النقدية كانت قائمة على الشعر دون سواه. و بتعبير آخر، إن الشعرية التي تختص بتقدير الجانب الشعري في القول الشعري، قديمة في النقد العربي حيث شكلت أساس الخطاب النقدي الذي اتخذ من الشعر موضوعاً له

* المؤلف المرسل

كونه صناعة تستدعي الكشف عن خصائصها، و كما يقول أيمن اللبدي: " مازالت مسائل الشعر من أكثر المسائل حيوية لكل مهتم بالأدب و أصنافه، و تأخذ حيزا من فكر ووقت الشاعر و الناقد والمتلقي على حد سواء"¹. واللافت للانتباه أن ما أنجزه الدارسون/ النقاد العرب المعاصرون من بحوث ودراسات حول " الشعرية" أو "شعرية الشعر"، و هي كثيرة، تحتاج إلى إعادة نظر/ تأمل/ مساءلة، أو تحتاج إلى قراءة أو مراجعة نقدية من منطلق قناعتنا أن المنجز النقدي العربي المعاصر- تنظيرا و إجراء- يحتاج إلى وقفات تطيل النظر فيه بغية تصويب ما تخلله من نقائص و هفوات أو تعديل جوانب النقص فيه أو إضافة ما يمكن إضافته. هذه هي المبررات التي تفرض على كل مهتم بالنشاط النقدي العربي المعاصر ضرورة مباحثة مناهجه، مصطلحاته، مفاهيمه، و قضاياها... هذا في خطوة أولى، ثم الانطلاق- في خطوة تالية- و بكل قوة و اطمئنان إلى الارتكاز على ما تم إنجازه في قراءة النصوص الأدبية... وضمن ما يتطلب المراجعة النقدية من جملة نقدنا المعاصر، تلك الإسهامات النقدية ذات الصلة بـ " شعرية الشعر"، والملاحظ أن أصحاب هذه الكتابات نجدهم يبررون انشغالهم بالبحث في شعرية القول الشعري دون غيره من أجناس الأدب الأخرى، فمن هؤلاء عبد العزيز إبراهيم الذي يرى أن الشعرية مدخل لدراسة الأدب عموما و الشعر على وجه الخصوص²، والأمر نفسه بالنسبة لخليل الموسى، و الذي في مستهل تقديمه لدراسته "جماليات الشعرية"، دون شعرية الأجناس السردية رغم هيمنتها في عصرنا، فهو يبين لنا - على وجه التدقيق- أن موضوع بحثه يندرج ضمن النظرية الأدبية عامة و النظرية الشعرية خاصة، على أن الشعر- في نظره- ملح الأدب حتى و إن سادت أو هيمنت فنون أدبية أخرى كالقصة والرواية والمسرحية، و مع ذلك، فإن النقاد لا زالوا يشددون على الطبيعة السلطانية للشعر، وأن الشعر هو الجنس الأعلى³. وهكذا، أصبح مصطلح "الشعرية" أكثر جريانا في الكتابات النقدية العربية المعاصرة و الغاية منه معرفة القوانين التي بها ندرك كنه الأدب/ الشعر خاصة بوصفه الفعالية الكلامية المثلى⁴.

في ضوء ما سبق، جاءت دراستنا هذه عارضة أمودجا أو إسهاما نقديا موضوعه " شعرية الشعر" للناقد السعودي عبد الرحمان بن محمد القعود في محاولته التأسيس لهذه الظاهرة الإبداعية/ الأدبية والنقدية من خلال بحثه: "شعرية الشعر"، "انكسارات النسق الشعري ومقالات أخرى في اللغة والأدب والنقد"، ... وستجيب هذه الدراسة- صراحة أو ضمنا- عن جملة من تساؤلاتها المنهجية: ما المقصود بشعرية الشعر لدى القعود؟ وهل يتفق هذا الناقد في تنظيره لهذه الظاهرة الإبداعية و النقدية مع غيره من الدارسين العرب وغير العرب؟ و ما هي آليات شعرية الشعر في نظره؟ وإلام يهدف من وراء بحثه في هذا الموضوع- شعرية الشعر؟ وما يجب أن نشير إليه، أنه في مقام مناقشتنا لشعرية الشعر كما يراها هذا الدارس، إنّ الجهد لن يكون كبيرا في التعريف بمصطلح "الشعرية" لدى الباحثين وكذا إبراز تعالقاته بالمصطلحات الأخرى مثل: الأدبية والبلاغة والأسلوبية واللسانيات، بقدر ما يكون كبيرا في تقصي مفهوم هذا المصطلح وعلاقاته بغيره من المصطلحات المجاورة له، إلى جانب تجليات شعرية الشعر في آراء القعود النقدية.

وقبل ولوجنا ميدان المعاينة الواصفة لقضايا شعرية الشعر في فكر القعود النقدي، حري بنا أن نقف عند محاور مضامين آرائه عن شعرية الشعر التي ضمن دراساته المذكورة أعلاه، وهذه المحاور هي:

- مصطلح " الشعرية" أو "شعرية الشعر"، مفهومه، تداوله في النشاط النقدي، تداخله مع المصطلحات الأخرى (الأدبية، الأسلوبية، اللسانيات، البلاغة).

- مظاهر/ تجليات شعرية الشعر (شعرية الإبداع، شعرية المضمون، شعرية التلقي).
- في معاناة الإبداع الشعري.

والملاحظ أن المحور الأول ورد في كتابي "شعرية الشعر" و"انكسارات النسق الشعري..." بينما اختص كتاب "شعرية الشعر" بمحور مظاهر شعرية الشعر، أما المحور الثالث فاختص به كتاب "انكسارات النسق الشعري..."، وورد المحور الرابع في كل من "شعرية الشعر" و"انكسارات النسق الشعري..."، إذا، يمكن القول مبدئياً، إن الآراء النقدية حول شعرية الشعر أو نظرية شعرية الشعر لدى عبد الرحمان القعود تستند إلى القضايا المدرجة ضمن المحاور المحددة أعلاه، وهو ما نتناوله في الفقرات الآتية:

إن تناول القعود لمصطلح "الشعرية" من حيث مفهومه وتداوله في الفكر النقدي المعاصر وكذا تعالقه بالمصطلحات الأخرى، لا يختلف عنه لدى الدارسين العرب وغير العرب، غير أن القعود يؤكد لنا أن بحثه في الشعرية خاص بجنس أدبي واحد هو الفن الشعري تفادياً للتداخل بين شعرية الشعر و شعرية الأجناس الأدبية الأخرى، يقول: لم أطمئن إلى أن يكون عنوان الكتاب مطلقاً هكذا: "الشعرية" وإنما محمداً هكذا: "شعرية الشعر"، و هي هذه الشعرية التي هي هويته الفنية والجمالية الخاصة التي تفرقه عن هوية أي نص أدبي آخر، هذه الشعرية التي تجعل من نص ما شعراً، و هذه الشعرية التي تكونها المظاهر الأشد شعرية في الشعر و التي ينفرد وحده بامتلاكها قياساً على المظاهر الأشد أدبية في الأدب عند تودوروف⁵. إذا، أثر القعود أن يكون عنوان دراسته "شعرية الشعر" بدل "الشعرية" بهدف أن يكون تخصص دراسته في "شعرية الشعر" لا شعرية الأدب، لذلك راح يبرز أو يحدد الخصائص النوعية التي تجعل من خطاب لغوي شعراً مثلما يقصد "تودوروف" بالأدبية تلك الخصائص التي إن توافرت في كلام ما عُدد أدباً، "إن موضوع الشعرية ليس هو العمل الأدبي في حد ذاته، فما تستنتقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعد إلا تجلياً لبنية محددة و عامة، و ليس العمل إلا إنجازاً من إنجازاتها الممكنة، و لذلك فإن هذا العلم لا يعني بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، و بعبارة أخرى، يعني بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية"⁶، إن شعرية "تودوروف" تهدف إلى معرفة القوانين الداخلية للعمل الأدبي التي تميزه عن الخطابات اللغوية الأخرى، أي إنها تبحث عن الخصائص التي تميزه عن الخطابات اللغوية الأخرى، أي أنها تبحث عن الخصائص التي تميز "الأدبي" عن اللاأدبي".

وفي تحديده لمفهوم "الشعرية"، فإن القعود ويذكرنا بأن الشعرية ليست خاصة بالشعر وحده، وإنما هي متعلقة بأي نص أدبي، و لذلك فهي تتداخل مع مصطلح "الأدبية". ولعل هذا ما أدى إلى سوء فهمها لدى الدارسين فهناك من يقصرها على الشعر وحده، و هناك من يوسع دائرتها فتشمل أي نص أدبي أو فني. إن هذا التعدد و الاختلاف أو الاتساع في مفهوم "الشعرية" حدا بصاحب راهن الشعرية إلى القول بأن الشعرية أصبحت "شيئاً فشيئاً، بحثاً في استراتيجيات اللغة والأدب، رهاناتها ونظرياتها"⁷. وعلى سبيل الحصر، يمكن أن نقول إن للشعرية - وكما يرى القعود- مفهومين: مفهوم عام وشامل، فتكون- هنا- بمعنى الأدبية ومعناها السمات التي تميز الأعمال الأدبية من غيرها، أي القوانين التي تبرز خصائص الظاهرة الأدبية، و بالتالي تكون الشعرية " مجموعة المبادئ الجمالية التي تقود الكاتب في العمل الأدبي"⁸، وفي ضوء هذا، تكون الشعرية ما يقوم به الكاتب / الشاعر من اختيارات واتقاءات من جملة

الإمكانات أو البدائل المتاحة له... وأما المفهوم الخاص للشعرية فهو مفهوم خاص بالفن الشعري غير الفن النثري، ويتضمن هذا المفهوم تلك المميزات والقوانين التي يتميز بها الخطاب الشعري عن الخطاب النثري، ومن هنا انبرى الجهد النقدي في البحث عن الخصائص الأساسية لفن الشعر، "والشعريات العربية مصطلحات قديمة جديدة في الوقت نفسه، بمفاهيم كثيرة، تتلخص في البحث عن قواعد فنون الشعر العربي، وقوانينه التي تتحكم في الإبداع الشعري"⁹.

وفيما يتعلق بتعالق مصطلح الشعرية مع المصطلحات الأخرى المجاورة لها، فيذكر تعالقها مع كل من "الأدبية" و"الأسلوبية" و"البلاغة" وهو تعالق ذكره أغلب الدارسين الذين بحثوا فيه، ولهذا السبب فإننا نتجاوز تفصيل هذه المسألة.. غير أنه ينبغي أن نشير إلى ذلك الاستنتاج الذي خلص إليه القعود و بعد عرضه لمفهوم الشعرية وتداخلها مع غيرها من المصطلحات و الذي ينص على أن شعرية الشعر تتجلى في "شعرية الإبداع" لا في مضمونه، لكن هناك شعر يبين تنضافان إليها، تصبان فيها و تسهمان في تكوينها و تكاملها، وهما: " شعرية المضمون" و "شعرية التلقي". يقودنا الكلام الأخير إلى أن عبد الرحمان القعود يرى " شعرية الشعر" في ثلاثة أنواع أو مظاهر/ملامح، هي شعرية الإبداع، شعرية المضمون، و شعرية التلقي، و قد ناقش في الأول أهمية شعرية الإبداع ثم بين ملامحها (الإيقاع، التشكيل اللغوي، الصورة، معاناة الإبداع) وتناول في الثانية ظاهرة التواضع بين الشكل والمضمون ثم مظاهر شعرية المضمون، بينما تطرق في الثالثة أهمية التلقي، مسؤوليته، طرائقه وأدواته.

2. شعرية الإبداع:

يؤكد لنا الباحث القعود أنه من خلال تجربته في إبداع الشعر وتلقيه له (دراسته له)، أن جوهر الشعر في طريقة قوله، طريقة إبداعه التي اصطلاح عليها "شعرية الإبداع" مع تسليمه بما للشعر من حمولة مضمونية فكرية، وبالتالي ما لهذا المضمون من دور وأهمية في صناعة الشعر وإبداعه، إذا، تبقى طريقة صناعة الشعر المميزة من جوهرياته وأساس شعرية من منطلق أننا -مبدئياً- أمام فكرة أو مضمون رئيسي يعبر عنه -شعرياً- بطرائق مختلفة، واختلاف هذه الطرائق هو الذي يجسد شعرية تلك الفكرة أو ذلك المضمون، لذلك، الجمالية (الشكلية) أكثر من اهتمامه ببنية مضمونية محددة وواضحة.. وفيما يلي بيان لتحليلات هذه الطريقة وآلياتها.

أ- الإيقاع:

ويعتبره القعود من أهم ملامح شعرية الإبداع كونه عنصراً طبيعياً في الشعر¹⁰، وربما بسبب أهمية الإيقاع ذكره القعود في صدارة ملامح شعرية الإبداع. ومتى أدرك الشاعر أهمية دقة اختيار الكلمة ووضعها في مكانها المناسب، وما لذلك ما انعكاسات على جماليات الشعر، ومتى تحقق الإيقاع في الشعر، تحققت الاستجابة من المتلقي لتحقيق التأثير فيه، وبهذا يكون الإيقاع معلماً في طريقة إبداع الشعر. لكن الذي يتناوله ناقدنا هو عدم تطرقه للعلاقة بين الإيقاع/ الصوت و المعنى الشعري، فالوزن- كما يرى جون كوين- لا وجود له إلا باعتباره علاقة بين المعنى و الصوت، فهو إذن بناء صوتي- معنوي¹¹، ولعل هذا ما يدل على أن الإيقاع عنصراً أصيل و ليس عنصراً خارجياً في البنية الشعرية، فوظيفته في النص الشعري لا تبدو إلا بالنظر إليه بوصفه بناءً صوتياً معنوياً، أو كما قال سلمان علون العبيدي: "يعد عنصر الإيقاع العنصر الأهم الحاسم في شعرية القصيدة العربية، إذ هو الذي يميز الكلام الشعري من الكلام النثري، وهو في هذا السبيل ليس عنصراً مضافاً إلى اللغة، بل هو عنصر في اللغة لا يمكن أن يتحقق إلا في داخل اللغة"¹².

ب- التشكيل اللغوي:

اللغة مادة الأدب ومظهر مهم في إطار شعرية الإبداع، فالكثير من جماليات القصيدة مصدره التشكيل اللغوي، وهو ما يعني أن اللغة هي بنية الشعر الرئيسية، ومنها بل من طريقة تشكيلها تتفرع البنى الشعرية الأخرى. ومن هنا، فإن "التشكيل اللغوي (كيفية استعمال اللغة) هو أحد ملامح طريقة القول الشعري أو شعرية الإبداع إن لم يكن محورها"¹³. مؤدى ذلك أن شعرية القول الشعري تتأسس على التشكيل الفني والتشكيل الجمالي بواسطة اللغة التي تصبح وظيفتها بناء الفكرة/ المضمون وإنتاجه لا التعبير عنه أو تمثيله، فالأدب- ومنه الشعر- ليس إلا كلمات أي: "لغة، أو نظام من الإشارات اللغوية التي تجلي وجوده الذي لا تحققه حملته الفكرية بل ذلك البناء أو النظام الرمزي/ الإشاري. من هنا، إن الشعر تصنعه الكلمات و الأنساق والأنظمة الدالة لا الأفكار والمعاني والمضامين، لذلك فإن "أول ما ينبغي القيام به عند النظر في قصيدة هو تركيز الاهتمام على المادة البنائية اللغوية لا التحدث عن العالم"¹⁴. إذا، إن أية نظرة للشعر يهدف تحليله أو فهم خصوصيته لا بد أن تركز اهتمامها على ظاهره أو شكله الذي تجسده اللغة، وتركز على كيفية تشكيل الشاعر لعناصر المادة اللغوية، لأن الشعر- في أحد أبعاده الجوهرية- تعامل خاص مع اللغة، ونحن لا نتوقع من الشاعر أن يبدع إلا إذا أتقن لغته لأنها أداة إبداع أدبي أولاً، وذات خصوصية تعاملية شعرية ثانياً¹⁵.

ويشير القعود إلى أن الوعي النقدي بأهمية التشكيل اللغوي في الشعر قد ازداد وضوحاً مع البحوث اللسانية الحديثة، وقد صار بإمكان عالم اللغة إدراج الشعر ضمن بحوثه و اهتماماته لقناعاته بأنه لا مبرر لفصل القضايا اللغوية عن القضايا النقدية، وكان من نتائج ذلك أن استندت بحوث "الشعرية" إلى المفاهيم العلمية اللسانية وبالتالي فإن البحث في شعرية القول أصبح في الانشغال النقدي من أهم المشكلات الأدبية و أخطرها، بل إن الشعرية اكتسبت فاعليتها بوصفها علماً قادراً على وصف النصوص الأدبية، وإذا كانت اللسانيات علماً محايداً للغة عامة، فالشعرية علم محايد للأدب وللغة الشعر بشكل خاص¹⁶.

ج- الصورة:

يرى القعود أن الاستعارة - صورة عامة- طبيعية في الشعر مثلاً مثل الإيقاع إلى جانب كونها إحدى ملامح شعرية الإبداع، وهي خاصية طبيعية في القول الشعري لأن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة، وكذلك بوصفها نسيجاً من الاستعارات... وبسبب ذلك، تكون الشعرية سمة في اللغة و بفعل الشكل الاستعاري استجابة لما يتطلبه التعبير الأدبي. وعلى هذا يمكن القول "إن التلاحم بين الاستعارة واللغة يمنح الاستعارة حق المواطنة الشعرية بداءة وحق عدداً أحد ملامح شعرية الشعر"¹⁷.

إنّ الخيال الشعري، مجسداً فيه الاستعارة، يستعين به الشاعر بدل التقرير والمباشرة لبعث إحساس المتلقي. والذي لا يغفله القعود، في سياق حديثه عن الخيال- الصورة الشعرية- إشارته إلى تعاونه أو تضافره مع الإيقاع، بل ويشير إلى تضافر عناصر الشعر كلها، ذلك أن قيمة عناصر القصيدة أو وحداتها المكونة لا تكمن في مجرد تجمعها وإنما في هذا التجمع المتفاعل، و"الشعر كل عضوي متكامل، وأن خصائصه قطوف مجموع خصائص عناصره"¹⁸. ومن ناحية أخرى، يعتبر الباحث الصورة نمطاً من الإبداع السيميولوجي فهي مثل الإشارات، بفضلها تتمرد الكلمات على المعجم و تستقبل دلالات جديدة في سياق تعبيرها الخيالي. وفي إشارة أخرى، يبدو ناقدنا مستلهماً مبادئ الشعرية الشكلانية،

ومنها أداة التغريب حين يرى أنه "بقدر ما تكون الصورة غريبة وعجيبة تكون غرابة الأشياء وعجبها في الشعر، والمرجح أن تمتع هذا الغرابة المتلقي وتدهشه"¹⁹، والواقع أن هذه الدهشة تثير علاقة بين النص والقارئ حيث تملأ الفجوة بينهما مثلها مثل الأدوات الشعرية الأخرى خصوصا وأن أهمية أدوات الشعر ليست في مجرد حضورها، وإنما في الكيفية الخاصة التي تشكلت عليها ناهيك عن وظائفها الفنية والدلالية التي منها تقوية الأثر الجمالي المطلوب، وبهذا يقوم الشاعر بمجافة التحديد والتقريرية والمباشرة والدقة العلمية كون الشعر عالم شعور وعاطفة، لا ينبغي أن يكون دقيقا.

ومن تجليات شعرية الإبداع ما يعرف بمعاناة الإبداع الشعري و هي تلك التجارب القاسية و المريرة التي يعانيتها الشعراء لحظات إبداعهم، وقبل تقديمهم لتجارهم بطريقة إبداعية أكثر تأثيرا وإبداعا وجمالا، ويصفها القعود بالمخاضات العسيرة و أنها "طاقات كامنة خلف عملية تدفق القول الشعري، لكنها في وجهها الآخر، تؤكد أهمية المعاناة الشعرية الإبداع وكونها ملمحا من ملامحها"²⁰، سوى انفعالات قوية يجد الشاعر نفسه خلالها في مأزق ولا يهدأ له بال حتى تجود قريحته بذلك الصنيع الشعري.

3. شعرية المضمون:

إن تحقق شعرية إبداع ناجحة- حسب القعود- يفضي حتما إلى تحقق شعرية مضمون ناجحة. عرض الباحث في هذا المحور- شعرية المضمون- لعنصرين: الشكل والمضمون، ومظاهر شعرية المضمون، وهو يرفض التفرقة (الفصل) بين الشكل و المضمون، و هو دليل قوي على أن ناقدنا يصدر -هنا- عن أهم مبدأ من مبادئ النقد المعاصر الذي ينص على رفض ثنائية الشكل والمضمون أو الفصل بينهما. واللافت للانتباه أن القعود- في كتابه شعرية الشعر- تحاشى استخدام مصطلح "الشكل" حيث فضل عليه مصطلح "الإبداع" بحجة ألا يفهم من ذكر "الشكل" مجرد اللفظ أو الإيقاع فقط، بل "شيء أشمل وأعمق فنيا وهو هذه الطرائق والتقنيات التي يتوسل بها الشاعر إلى إنجاز نص شعري"²¹. وقد وقف الباحث عند الأدوات الشكلية في سياق تحليله لشعرية الإبداع من وإيقاع ولغة وتصوير فني، فالشكل هو أسلوب العمل، وسائطه، وأدواته التعبيرية، ويأتي الشكل في الصدارة ثم يكون المضمون لاحقا له لأنه معيار القراءة الفنية وأساسها في المنظور النقدي المعاصر، والمضمون الذي يتمثل في الرأي/ وجهته النظر/ والقصدية من العمل، فإنه "يتوارى خلف هذا الشكل أو يبدو مضمرا"²²، وبالتالي فإنه يكون تلك الدلالة التي تتولد من رحم الشكل، أي رحم تلك التقنيات التعبيرية.

إذا، يشدد القعود على التلاحم القوي بين الشكل و المضمون على أساس عدم حضور أحدهما دون الآخر، فاللفظ/ الشكل دون المعنى هو مجرد شكل، وأن المعنى/ المضمون دون الشكل في تشكيلات خاصة لا يعد معنى شعريا و لا قيمة جمالية له. لذلك فإن الشكل الشعري لم يكن ليكون لولا هذه الدلالة الشعرية، والأخيرة لم يكن لها لتتحقق لولا هذا الشكل الشعري، ولعلّ هذا هو مكنن جوهر تلاحمهما، تداخلهما وتفاعلهما ويكشف الباحث أن كشف قناع المعنى وظيفية من وظائف الشكل لكنها ليست وظيفته الأساسية، فأهم وظيفة ينهض بها الشكل للمضمون هي الشعرية (شعرية المضمون)، فبالشكل يكتسب المضمون شعرية... وقد حصر القعود مظاهر شعرية المضمون كالتالي:

أ- لا توجد هذه الشعرية خارج القصيدة لأن شعرية الإبداع هي التي صنعتها، و هي تتكون داخل القصيدة

و تتنامى مع تناميها، أي: لاشعرية مضمون خارج القصيدة أو قبلها، و يتفق -هنا- القعود مع "جرمونسكي" الذي يقول: "لا تتمتع، في الفن الأدبي، عناصر ما يسمى المحتوى، بوجود مستقل و ليست خالصة من القوانين العامة للبنية الإستيطيقية"²³، فالمضمون ينكشف - في الأدب الخيالي - عبر الأداة الشكلية فلا ينبغي البحث عنه خارجها.

ب- القول الشعري لا ينقل معنى ولا يعكسه وإنما يوصى إليه و يوصي به من خلال بنية النص وما نخصت عليه من تعالقات وتفاعلات.

ج- إنسانية المضمون، أن يكون هذا المضمون ذا بعد إنساني وبشرط أن يكون هذا البعد غير مجرد من القيم الإبداعية، وأن يتجاوز حدود الزمان والمكان.

4. شعرية التلقي:

إنّ النص الشعري لا يحقق وجوده وقيمه بإبداعه فقط، وإنما به وبتلقيه، بكل ما ينتمي إلى الأول من أدوات تعبيرية وتصويرية وإيحائية، وكل ما للثاني من طاقات تذوقية إيجابية، إن "شعرية الشعر لا تكتمل فعلياً وجمالياً إلا من خلال تلقيه، فالشعر لا يصنع الإبداع الدال فقط، لا بد من تلق واع من ذوق يستقبل هذا المبدع مسهماً في إبداعه، هذا التلقي روح أخرى للشعر"²⁴، فإذا كان الشعر هو طريقة قول فهو كذلك طريقة تلق، على أن الشعرية موجودة في النص الذي هو عملية إبداع من منشئه، و موجودة كذلك في الممارسة النقدية (عملية التلقي)، لأن النص الشعري عملية تذوق جمالي من المتلقي، فالأدبية/ الشعرية موجودة في النصوص الأدبية التي توفر فيها البعد الفني لتؤثر في المتلقي، و هي - الشعرية- ذات صلة بذلك المتقبل كونه هو الذي اختار تلك النصوص وفق بعد في ما²⁵، وهكذا تكون شعرية التلقي إسهاماً في إنتاج النص وإبداعه وكشف قيمته، بحكم أن النص ومعناه لا يتشكلان بذاته فقط، حيث لا بد من عمل القارئ.

وقد لاحظ القعود أن شعرية المضمون قد تراجعت في شعر الحداثة أمام شعرية الإبداع لأن هذا الشعر أصبح يركز على البنية الجمالية الشكلية أكثر من اهتمامه بالبنية المضمونية، أي: التركيز على أثر الشعر بدلاً من التركيز على ما يقوله و يبلغه، ولعل هذا ما أدى إلى تعاضد الشعرية في النص الشعري بسبب تركيز الأداء على عملية الإبداع في ذاتها، وبالتالي تعاضد نسبة الغموض الفني الذي هو خصيصة متجدرة في الشعر، وصفة طبيعية داخلية فيه، وملمح ملازم له، و إلى جانب تأصيل القعود لمفهوم شعرية التلقي، أهميته، مسؤوليته، وأدواته، عرض علينا دراسته عنونها: "أبيات شغلت النقاد" وهي خمسة أبيات شعرية للشاعر كثير عزة، وما استرعى اهتمام ناقدنا كثرة اهتمام النقاد بها- قديماً و حديثاً- وقد أصدر ملاحظات نقدية حول هذه الأبيات وحدة الأبيات النفسية و الأسلوبية، انسجامها بعضها مع بعض... وقد لاحظ أن النقاد القدامى تناولوا هذه الأبيات في إطار الخلاف حول قضية اللفظ و المعنى/ الشكل والمضمون وفق المصطلح الحديث، وأشار إلى أن بعض هؤلاء اعتبروا جمال النص الأدبي في لفظه/ شكله، بينما كان البعض الآخر يرجعون سر جمال النص الأدبي إلى معناه/ مضمونه.. ثم أوضح أن فصل هؤلاء بين الشكل و المضمون أدى بالكثير منهم إلى إهمال الكثير من النقاط المثيرة في تلك الأبيات. لاحظ القعود أن هناك تشابهاً و تداخلاً كبيراً في رؤاهم، أما نقطة الاختلاف بينهم فتكمن في منشأ جمالها، على أن ما ذكره القدماء و المعاصرون وأشاروا إليه أن الأبيات جميلة إما لأنها

تثير انفعالات، وتعبر عن تجربة، وتداعب المشاعر، ولما فيها من بساطة وعفوية " هذه البساطة أو العفوية التي تعانق المتلقي بلباقة متناهية إلى حد احماء كاتبها"²⁶.

والملاحظ أن القعود قام بدراسة أسلوبية لتلك الأبيات ولاحظ زيادة القيمة العددية للفعل مقابل الصفة دلالة على شعرية الأسلوب، و في تقديره أن هيمنة الفعل ترمز إلى تفاعل الشاعر مع مضامين النص وانفعاله بها، وإلى درامية النص نفسه، على أن تفاعل الشاعر مع تجربته كان له أثره على عنصر الإيقاع، يضاف إلى ذلك أن الأبيات تتحرك في فضاء قصصي يقترب كثيرا من الحكاية.

5. خاتمة الدراسة:

وإذا وصلنا أول الكلام بآخره، وأخذنا مما بين الأول والأخير، قلنا إن مصطلح الشعرية لم يعد مجرد وصف للعناصر الشعرية المحركة للنفس التي كانت أساس النقد القديم، بل إن مفهومه تطور و اتسع مجاله ليشمل كل إدراك لقيمة جمالية أو شعورية في أي شيء، كما اتضح لنا أن الشعرية- في المناهج البحثية المعاصرة- قد أصبحت لها سبل مختلفة، والبحث فيها هو نوع من البحث عن السبل التي يتم بها إنتاج القيمة الجمالية في النصوص الأدبية. وبدا لنا واضحا أن القعود في بحثه حول الشعرية يتفق مع الكثير من النقاد و الدارسين في أغلب قضايا " الشعرية"، ولأننا "نقرأ، بالضرورة، انطلاقا من نظرية ما"²⁷، فإن القعود يصدر في أفكاره وآرائه عن رؤية نقدية معاصرة ذات أبعاد بنوية وأسلوبية وسيميائية وغيرها. وتناوله لشعرية الشعر، في مظاهرها و تجلياتها، يشير بوضوح إلى قضايا الشعرية عنده وهي: طرائق الإبداع (الشكل)، المضمون، والتلقي.

واللافت للانتباه، إننا نلمح- في حضم ذلك - حضور أركان التواصل الأدبي الثلاثة: المبدع (شعرية معاناة الإبداع)، النص، والمتلقي، وبناء على ذلك، فإن شاعرية النص تتحدد " كما هو سائد من خلال قراءة تفكيكية لعناصر النص المتعالية: اللغة الشعرية بمستوياتها المتعددة، ودرجات التخيل، والصيغ التشكيلية التي صيغ بها النص، والمعاني المتخفية وراء المعنى في منظور النص إلى العالم، وموضوع النص كحدث انفعالي أو تأملي، ثم إيقاع النص"²⁸. وإلى جانب ذلك، جمع القعود، في تناوله لشعرية الشعر، بين النظري والتطبيقي، كما أبرز قضايا شعرية الشعر العربي، قديمه وحديثه، مستندا في ذلك على آراء الفلاسفة، علماء الجمال، والنقاد العرب وغير العرب القدماء والمحدثين، مع مناقشته وتعليقه على آرائهم و الإضافة إليها.

إن الشعرية خصيصة موجودة في النص، وإن المبدع هو الذي يفجرها فيه، والنشاط النقدي (الناقد/ المتلقي) هو الذي يكشف عنها ويحللها... والشعرية هي التي تميز القول الشعري عن غيره، والنص الشعري يستدعي الشعرية مثلما هي تستدعيه، والتعبير الشعري لا يستهوي المتلقي إلا لكونه نصا شعريا ذا شعرية.. ويقودنا هذا الموقف النقدي إلى أن شعرية الشعر تتشكل أو تتولد لسببين: التشكيل والتأثير، إنها تتحصل لأمرين: المعمار الفني للنص²⁹، ثم الأثر الفني المصاحب له أو الناجم عنه، على أن للشعر معماره الفني الذي يمتاز به عما ليس شعرا، و هذا ما يعني أن شعرية حصيلته لتفاعل العناصر البنائية لهذا المعمار الفني إلى جانب مظاهر الأثر الفني الناتج عن التشكيل الشعري.

إن دراسة القعود لشعرية الشعر هي بحث عما يجعل الشعر شعرا، أي: بحث في الخصائص النوعية للقول الشعري، وهي خصائص شكلية جمالية، وأصول هذا البحث مصدرها تلك المفاهيم والمبادئ التي رسخها الموقف النقدي

الحدائثي الغربي الذي وقع في مأزق حقيقي على مستوى التنظير يتجلى في تصور مفهوم "الشكل"³⁰، حيث كان ينظر إلى الشكل باعتباره غاية وإطارا مرجعيا، تحدد شعرية الشعر بالاحتكام إليه وحده دون سواه من عناصر العملية الإبداعية، الأمر الذي انعكس سلبا على مستوى تحديد هوية النص الإبداعي الشعري وخصوصيته مع فقدان أبعاده الأنطولوجية ووظائفه التاريخية.. مرد هذه الأزمة المنهجية التي وقعت فيها مناهج الحدائث النقدية إلى المعاملة التحريبية للنص الأدبي بإخضاعه - غالبا - لقوانين أو قواعد عامة تحكم النصوص اللغوية، وهو ما يسمح بضياح هوية النص الأدبي/ الشعري المراد فحصه من جهة، ويسمح كذلك بإخضاع أي نص لغوي للمعينة التحريبية حتى وإن كان عدم القيمة الجمالية. إن ذلك التناول النقدي المنهجي المأزوم للنص الشعري العربي هو وليد بيئة غريبة عن البيئة الأدبية العربية التي لها خصوصيتها الذاتية، و لعل هذا ما يحدو بنا إلى القول مع الناقد وهب رومية: "إن علينا أن ننظر إلى الشعر العربي في ذاته، و ألا نقيسه ببنية شعرية أخرى تحققت في سياق تاريخي اجتماعي مختلف عن السياق التاريخي للشعر العربي"³¹. إذا، اللازم أن نعود إلى شعرنا العربي، قديمه وحديثه، نبحت في طبيعته و خصائصه، بعيدا عما يطرحه النقد الأجنبي - رؤية و منهجا - لتباين الأصول المكونة للشعرية، ينبغي علينا ذلك في أية محاولة نهدف من خلالها إلى استنباط قوانين الشعرية العربية، سيما و نحن نعرف أن النظرية النقدية يجب أن تكون وليدة النشاط الإبداعي الذي تصفه و تنظر له.

6. الهوامش:

- 1 - أمين اللبدي، الشعرية والشاعرية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، ط1، 2006، ص:7.
- 2 - ينظر: عبد العزيز إبراهيم، شعرية الحدائث، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، 2005، ص:14.
- 3 - ينظر: خليل الموسى، جماليات الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، 2008، ص:5-6.
- 4 - عبد القادر الغزالي، الشعرية العربية (التاريخية والرهانات) دار الحوار للنشر و التوزيع - اللاذقية (سوريا)، ط:1، 2010، ص:10.
- 5 - عبد الرحمان بن محمد القعود، شعرية الشعر، مطبعة دار الجمهورية للصحافة - الرياض، ط:1، 1428هـ - 2007م، ص:11.
- 6 - تودوروف ترفيطان، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء (المغرب)، ط:1، 1987، ص:23.
- 7 - هنري ميشونيك، راهن الشعرية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، منشورات الاختلاف - الجزائر، ط:2، 2003، ص:7.
- 8 - مفهومات في بنية النص الأدبي، ترجمة: وائل بركات، دار معد للطباعة و النشر و التوزيع - دمشق، د.ت، ص:33.
- 9 - سعد بوفلاقة الشعرية العربية، المفاهيم والأنواع والأنماط دائرة الثقافة والإعلام - الشارقة، ط:8، 2008، ص:13.
- 10 - عبد الرحمان بن محمد القعود، شعرية الشعر، المرجع السابق، ص:31.
- 11 - جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف - القاهرة، ط:3، 1992، ص:65-66.
- 12 - سلمان علوان العبيدي، البناء الفني في القصيدة الجديدة عالم الكتب الحديث - إربد (الأردن)، ط:1، 2011، ص:133.
- 13 - عبد الرحمان القعود، المرجع السابق، ص:48.
- 14 - جان ميشال غوفار، تحليل الشعر، ترجمة: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - بيروت، ط:1، 1428هـ / 2008م، ص:100.
- 15 - عبد الرحمان القعود، انكسارات النسق الشعري و مقالات أخرى في اللغة و الأدب و النقد، مطبعة دار الجمهورية للصحافة - الرياض، ط:1، 1428هـ / 2007م، ص:75.
- 16 - ينظر: محمد العياشي كوني، شعرية القصيدة العربية، دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث - إربد (الأردن)، ط:1، 1431هـ / 2010م، ص:5.
- 17 - عبد الرحمان القعود، شعرية الشعر، ص:55-56.

- 18 - وهب رومية، الشعر و الناقد، من التشكيل إلى الرؤيا، سلسلة " عالم المعرفة"، ع:331، رجب 1427هـ/ سبتمبر 2006، ص:268.
- 19 - عبد الرحمان القعود، شعرية الشعر، ص:63.
- 20 - ينظر: المرجع نفسه، ص:73-74، و ينظر كذلك: عبد الرحمان القعود، انكسارات النسق الشعري...، ص:133.
- 21 - عبد الرحمان القعود، شعرية الشعر، ص:85.
- 22 - عمر عبد العزيز، زمن الإبداع، اتحاد كتاب و أدباء الإمارات- الشارقة، ط:1، 2000، ص:33.
- 23 - فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة: محمد الولي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء/ يسروت، ط:1، 2000، ص:31.
- 24 - عبد الرحمان القعود ، شعرية الشعر، ص:102.
- 25 - توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي، سيراس للنشر- تونس، د.ت.ط، ص:3.
- 26 - عبد الرحمان القعود، انكسارات النسق الشعري... ص:139.
- 27 - ديفيد بوشندر، نظرية الأدب المعاصر و قراءة الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط:2، 2005، ص:11.
- 28 - مجلة "فصول"، مج (2/25) ، ع:98، شتاء 2017، ص:49.
- 29 - قاسم المومني، شعرية الشعر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط:1، 2002، ص:06.
- 30 - سعيد توفيق، قي ماهية اللغة و فلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط:1، 1423هـ/2002م، ص:115.
- 31 - وهب رومية، الشعر و الناقد، المرجع السابق، ص:305.

7. قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم، عبد العزيز، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق، 2005، ص:14.
- 2- إيرليخ، فكتور، الشكلانية الروسية، ترجمة: محمد الولي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء/ بيروت، ط:1، 2000.
- 3- بوشندر، ديفيد، نظرية الأدب المعاصر و قراءة الشعر، ترجمة: عبد المقصود عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط:2، 2005.
- 4- بوفلاقة، سعد، الشعرية العربية، المفاهيم و الأنواع و الأنماط، دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة، ط:8، 2008.
- 5- تأليف جماعة من الباحثين، مفهومات في بنية النص الأدبي، ترجمة: وائل بركات، دار معد للطباعة و النشر والتوزيع- دمشق، د.ت.ط.
- 6- تودوروف، تزفيتان، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء (المغرب)، ط:1، 1987.
- 7- توفيق، سعيد، في ماهية اللغة و فلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط:1، 1423هـ/2002م.
- 8- رومية، وهب، الشعر و الناقد، من التشكيل إلى الرؤيا " سلسلة عالم المعرفة"، ع:331، رجب 1427هـ/ سبتمبر 2006.
- 9- الزبيدي، توفيق، مفهوم الأدبية في التراث النقدي، سيراس للنشر- تونس، د.ت.ط.
- 10- عبد العزيز، عمر، زمن الإبداع، اتحاد كتاب و أدباء الإمارات- الشارقة، ط:1، 2000.
- 11- العبيدي، سلمان علوان، البناء الفني في القصيدة الجديدة- عالم الكتب الحديث- إربد (الأردن)، ط:1، 2011.

- 12- الغزالي، عبد القادر، الشعرية العربية، الرهانات والتاريخية، دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية (سوريا)، ط:1، 2010.
- 13- غوفار، ميشال، تحليل الشعر، ترجمة: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط:1، 1428هـ/2008م.
- 14- القعود، عبد الرحمان بن محمد، شعرية الشعر، مطبعة دار الجمهورية للصحافة- الرياض، ط:1، 1428هـ/2007م.
- 15- القعود، عبد الرحمان بن محمد، انكسارات النسق الشعري و مقالات أخرى فاللغة والأدب والنقد، مطبعة دار الجمهورية للصحافة، ط:1، 1428هـ/2007م.
- 16- كنوني، محمد العياشي، شعرية القصيدة العربية، دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث- إربد (الأردن)، ط:1، 1431هـ/2010.
- 17- كوين، جون، بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف- القاهرة، ط:3، 1992.
- 18- اللبدي، أيمن، الشعرية والشاعرية، دار الشروق للنشر و التوزيع- عمان، ط:1، 2006.
- 19- مجلة "فصول"، مج (2/25)، ع:98، شتاء 2017
- 20- الموسى، خليل، جماليات الشعرية، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، 2008.
- 21- المومني، قاسم، شعرية الشعر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت، ط:1، 2002.
- 22- ميشونيك، هنري، راهن الشعرية، ترجمة: عبد الرحيمحزل- منشورات الاختلاف- الجزائر، ط:2، 2003.
- 23- ناظم، حسن، مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة، في الأصول والمنهج و المفاهيم، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط:1، 1994.